الفصل الثالث
محمد علي حمو

الإهداء

إلى معلمتي وجليسة أفكاري، وأنيسة وحدتي وصديقتي وشقيقتي الكبرى، هي من تستحق الثناء، لولاها لما وصلت إلى هنا.

وإلى قهوتي البنية التي ساعدتني على النهوض من جديد، أحبك في المرارة والحلاوة وبكل ما تحمل الكلمة من معنى.

****

روح

لأنك روح تعشق التمرد والانطلاق
تحلق في الأفق تنظر لبقايا الركام
في مقبرة تسمى أحلام
تهوى النظر لما بعد البعيد ولا يجذبك القريب
****

كم أنا هائم بتلك الروح التي تتنقل حولي
كنت أظن بأنني أحتويها لكنها تحتويني
كم كانت تلك الروح ملجأً لي، كاليتامى أسرح في
ملكوتها كم كانت إشباعاً لما بي من ثغرات
ولا زالت تلك الروح لم تذهب وتهيم حولي وتدخلني
كما لو أنها تفتح أبواباً أغلقها وابل الزمن وتطرقها سهوة
ثم تعود لتحوم حولي
إلى الآن لا زالت وحياً
إلى الآن لا زالت شفقاً
إلى الآن لا زالت سهوةً
وتعود لتجمع أشلائي وتقابل زلاتي بإحسان.

انتظري..

لا زلتِ في ريعان شبابكِ

والبهجة تنبع من فاهكِ

لا تقفي للزمن الهالك

وانهشي البؤس بأسنانك

فالموت بعيد سيدتي، فابدئي بترتيب فراشك

فحياتك لا زالت تنتظرك خلف ستارة أوهامك

افتحي نوافذك واستلقي وانتظري صوتاً سينادي

فأنا آتٍ سيدتي، حضري عطرك مذهلتي، فأنا آتٍ على بابك

قد كنت مولعاً بسرابك، آنستي وحدتي بظلالك

رغم خطيئتي بالهجران ورغم غروري في بعض الأحيان

وغضبي حين تملكني، رتقتِ جراحي بالمجان وجراحي

باتت تؤلمني فلتغفري كل ما كان

رمّمتِ، رحمتِ، آنستِ ورتقتِ

غضبت، بطشت، صرخت، هدأت، رجعت

فكانت يدك دوما معي

فشكراً جزيلاً لكوني لكِ

ليلك

كعادتها ترتدي غطاء الخجل، جميلة جداً في العباءة
السوداء، مختبئةٌ ربما مني ومن هوسي القاتل بالنظر
المفرط إليها، ورغم نضوب أفكاري المستمر إلا أنني لم
أنسَ كيف أصفها، أذكر أنني سميتها تيمناً بزهرة الليلك
ولونها النادر وسحرها مع كل نظرة حيادية تراها فيها،
تماماً كما ليلك، ويستمر شغفي وهيامي
ارتبكت جداً ولم أعرف ماذا أقول، كانت يداي ترتجفان
أحمل بهما هدية عتيقة مغلفة، عنوانها مائة عام من
العزلة
كان يتساءل باستمرار، من أين أتت بكل هذه الثقة؟
كانت خطاها تسبق كلمتها، تتسم بالرزانة والحيوية
والازدواجية ولكن بسلاسة مطلقة
ليلك، شرقية الهوى فاتنة الملامح، لا أعلم من أين تأتي
الكلمات لوصفها دائماً ما أشعر بأنها في داخلي
أدخل في حالة هيستيرية عند سماع اسمها لتبقى
ابتسامتها أجملَ قصيدةٍ تُروى واسمها درجة متقدمة من
الإدمان.

ليلك؛ هي الرفيقة والصديقة العفوية، هي خير جليس تارةً والأم التي تحنو على ابنها تارةً والمعلمة تارةً أخرى ربما لهذا السبب تعجبني فكرةُ تخليد اسمها في الكتب، رغم أنه ليس كافٍ إلا أنني ربما أكون منصفاً.

"ولنا في الخيال حياة أخرى وتبقى الحقيقة حلماً أجمل"

****

هديل ذاك الغصن

حمامةٌ تغنّت بقوتها على الشجرة تحمي صغارها بجناحٍ تغطيهم وبالآخر توازن نفسها كيلا تسقط، بهديلها تحنو عليهم إن هي إلا سرٌّ لأبيها منذ عقد قد مضى، أحد الصغار يرفرف على خطاها يتعلم منها الحكمة والاتزان وكيف يستغل كل موقفٍ لصالحه ليصنع منه تحفةً فنيةً، تلك حمامةٌ رفت تلك هي ومن غيرها معلمة

****

جنتي البعيدة

وماذا بعد الفراق يا أمي
تسأليننني كيف حالك أقول لك بخير
ولكن بخير تخفي الكثير من الألم
من أين أبدأ وبأي نقطة أنتهي
لقد ذبلت أناملي فما عدت أستطيع الكتابة
لا زالت لمتي كما هي بنية، لكن أشعر بأنها ستشيب
نومي متأرق وعيني من الفراق قد ذبلت
والهموم على لساني تأبى منها الكلمات أن تخرج
يداي ترتجفان ليلاً وأذكر أنني أشتاق لك فحسب
أنتِ هويتي وأحلامي وسكوني وذاتي
أنتِ بيني وبين دموعي، وبيني وبين الألم
بيني وبين الخضوع إذا أقبلت عليّ يوماً أخطائي
وإن أخطأتُ يوماً لزلةٍ أجدكِ رغم البعد بجانبي
ثلاثة سنوات كلما نظرت في مرآة الاشتياق أراكِ
لا زلت مكاني ولا زلتِ لم تبرحي، البارحة قد ودعتِ
ووعدتِ فأين وعدكِ يا أمي، أعوامٌ كسحابٍ مرت وأيامٌ
كالدهر تمرُ، لا زالت صورتك في جيبي لا تنفك تريح قلبي

لا زلتُ، ولا زالت دموعي تتغرغر وعيناي جفت من الحزن وسواد الليل في جفني، تعبت أمعائي من الملحِ كطعامك لم يخلق قط، كوابيس الموت تطاردني وأشباه الموتى تلاقيني فأين أنتِ مني.

****

الغفران

يدك لا تزال تلك الدفعة التي لم ترحها ولو قليلاً
كم سهرت من الأيام في الظلمة لتؤمّن لنا النور
أطلب الغفران عن كل قطرة عرق نزلت عن جبينك
وعن كل يوم لم تأخذ فيه قسطاً من الراحة كي تحمينا من برد الشتاء الذي أهلك عظامك.
أبي، أعلم أنّ الكلمات لن تجدِ يوماً نفعاً ولكن عساها أن تكون تعبيراً عن غفران واعتزاز وامتنان ومحبة.
كم كانت أيامي في غيبتك بدون معنى، كأنما فقدت عضواً أو شيئاً من هذا القبيل، ولكنك علّمتني درساً لن أنساه في حياتي؛ تعلمت منك الإخلاص والقوة وألّا تقف العقبات في طريقي مهما كانت قوتها
تحدثت عن التضحيات التي قمت بها، وكنت أقول يوماً ما سأصل لمرحلتك، كلا لن أصل.
لم يشعر أحدٌ بعذاب أبٍ قد أرهقت متاعب الحياة كاهله، ولم يستسلم.
رجلٌ عصاميٌّ بنى حياته من صفر لا يُذكر، للحظة فكر وقرر ألّا يقف عند هذا الحد بل سوف يطوّرُ ويجدّد،

يجلس على أرضيةٍ مهترئة ليرسمَ ملامحَ المستقبل له
ولأسرته ليبني مستقبلاً أفضل
عذراً لم أكن يوماً بهذا الشغف، لقد تعلّمته منكَ عندما
لم تتركْ يديّ في أول عقبة ولا حتى بعد أخرى
أطلب غفرانك، كنت أحلم دوماً بتسديد ما فعلت كأنه
دين ولكن، نسيت أن هناك دين لا يمكن تسديده.

****